سِلْسِلَةُ: إِتْحَافِ الحَاضِرِ والبَادِي بِتَفْرِيغِ أَشْرِطَةِ العَلَّامَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ هَادِي، قِسْمُ الخُطَبِ (٣٥)

تَفْرِيغُ خُطْبَةٍ بِعُنْوَانِ:

«خَيْرُ الزَّادِ التَّقْوَى»

لِفَضِيلَةِ الشَّيخِ العَلَّامَةِ

مُحَمَّدِ بْنِ هَادِي المَدْخَلِي -حَفِظَهُ اللهُ-

المدرّس بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقًا

إِعْدَادُ

أَبِي قُصَيٍّ المَدَنِيِّ

-عَفَا اللهُ عَنْهُ وعَنْ والِدَيْهِ ومَشَايِخِه وَالْمُسْلِمِيْنَ أَجْمَعِيْنَ-

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة جمعة قديمة بعنوان: «خير الزاد التقوى» [1]

«...[2]، مُعِزٍّ من أطاعه ومُذِلٍّ من خالف أمره وعصاه، أحمده -سبحانه- وأشكره على حُلُوِّ نِعَمِهِ ومُرِّ بلواه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيدنا محمداً عبده ورسوله، أفضل الأنبياء، وأكرم الأتقياء، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه إلى يوم الدين.

أمَّا بعد؛

فيا عباد الله، اتقوا الله حق تقاته، فإنكم إنما خلقتم للتقوى، وما أسدى عليكم من نِعَمٍ إلا لتستعينوا بها على تقواه، وإذا كان الأمر كذلك؛ فما هي هذه التقوى التي خلقنا من أجلها -يا عباد الله-؟

إنَّ التقوى -أيها المسلمون- هي أن تجعلوا أنفسكم دائماً في وقاية من عذاب الله وعقابه؛ بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، فلا يراكم حيث نهاكم، ولا يفقدكم حيث أمركم.

قال علي بن أبي طالب ﷺ فيما يُروى عنه من تعريفٍ للتقوى[3] قال ﷺ: (التقوى هي الخوف من الجليل) يعني الله -تبارك وتعالى-، (والعمل بالتنزيل) يعني الوحي من قرآن وسنة، (والقناعة بالقليل) يعني من الدنيا حتى لا يُلتهى بها، (والاستعداد ليوم الرحيل) يعني للموت؛ وذلك -أيها المؤمنون- إنما يكون بالأعمال الصالحة، فإنها هي الرصيد الباقي الذي ينفع صاحبه في حياته في البرزخ حين نومته في قبره، ويوم يقوم الناس لرب العالمين.

---

(١) خطبة قديمة لفضيلة الشيخ محمد بن هادي المدخلي -حفظه الله-.

(٢) أول الخطبة غير موجود بالتسجيل.

(٣) لم أقف عليه مسنداً، وأقدم من ذكره بدون إسناد -على حسب بحثي القاصر-: الصالحي (ت ٩٤٢هـ) في كتابه «سبل الهدى والرشاد في هدي خير العباد» (١/ ٤٢١)، وقد سألتُ شيخنا -حفظه الله- قبل أيامٍ: هل وقفتم على إسنادٍ له؟ فقال لي: (لا، وإنما يذكره العلماء في كتب الزهد والرقائق).

أيها المسلمون: حقاً إننا لمحتاجون إلى التقوى أشدَّ من احتياجنا للماء والهواء، فإنه لو لم يكن فيها إلا أنها تجلب محبة الله ﷻ لصاحبها، ومَن أحبه الله قَذَفَ محبته في قلوب الناس؛ لكفى بذلك شرفاً للتقوى، وعِظَماً لقدرها ومكانها عنده ﷻ.

قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [آل عمران:٧٦]، وقال في سورة التوبة: ﴿فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾﴾ [التوبة:٤]، وقال فيها أيضاً: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُواْ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُواْ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾﴾ [التوبة:٧].

ففي هذه الآيات كلها إثبات محبة الله للمتقين له ﷻ، وبالتقوى -معشر المسلمين- تحصل معية الله لعباده، ونصره لهم على أعدائهم، كما قال -تعالى- في سورة البقرة: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [البقرة:١٩٤].

وقال ﷻ في سورة التوبة: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [التوبة:٣٦].

وقال فيها أيضاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [التوبة:١٢٣].

وقال ﷻ في سورة النحل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل:١٢٨].

معشر المسلمين: ترون من ذلك كم من البلايا تنزل بالمسلمين في أوطانهم وفي شتى بقاع الأرض! كم من المعارك تدور بينهم وبين عدوهم! فهل حصل لهم النصر -يا عباد الله-؟ والله ما حصل فيما نعلم، وما ذلك إلا بتفويت هذا الشرط، ذلكم الشرط العظيم الذي تُنال به معية الله لعباده المقاتلين لأعدائهم؛ إنه التقوى، تقوى الله ﷻ التي تُنال بها هذه المعية، فيُنصر صاحبها

في الدنيا على عدوه، كم من المقاتلين المسلمين وهم يتعلَّقون التمائم والحُروز؟ كم من المقاتلين المسلمين وهم يحلفون بغير الله ﷻ؟ وكم من المقاتلين في بعض بلدان المسلمين وهم لا يحسنون الصلاة لله رب العالمين؟ فبالله عليكم؛ هل تُنال ولاية الله عند هؤلاء؟ هل تُنال ولاية الله عند هؤلاء؟ وهل يتأتى نصره لهؤلاء؟

إنَّ سُنَّة الله الكونية وسُنَّته الشرعية قد تخلَّفت في هذا الصنف من الناس، وقد تخلَّفت في هذا الموطن الذي واجهوا فيه أعدائهم، وإذا تخلَّف الشرط؛ تخلَّف المشروط -جزاءً وفاقاً-.

وبالتقوى -يا عباد الله- يُنال ما عند الله -تعالى- من النعيم المقيم في جنة عدن عرضها السماوات والأرض، كما قال -تعالى- في سورة آل عمران: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾ [آل عمران:١٣٣]، وقال ﷻ في سورة الحجر: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ٤٥ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ٤٦﴾ [الحجر:٤٥-٤٦]، وقال في النحل: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ ٣٠ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ لَهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ كَذَٰلِكَ يَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلۡمُتَّقِينَ ٣١﴾ [النحل:٣٠-٣١]، وقال في سورة الشعراء: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ٨٩ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ ٩٠﴾ [الشعراء:٨٨-٩٠].

وقال في الزخرف: ﴿وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ لَّجَعَلۡنَا لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ لِبُيُوتِهِمۡ سُقُفٗا مِّن فِضَّةٖ وَمَعَارِجَ عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ ٣٣ وَلِبُيُوتِهِمۡ أَبۡوَٰبٗا وَسُرُرًا عَلَيۡهَا يَتَّكِـُٔونَ ٣٤ وَزُخۡرُفٗاۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُتَّقِينَ ٣٥﴾ [الزخرف:٣٣-٣٥].

وقال ﷻ في سورة الدخان: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ٥١ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ٥٢ يَلۡبَسُونَ مِن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ٥٣ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ٥٤ يَدۡعُونَ

فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾﴾ [الدخان:٥١-٥٧].

وقال في سورة (ق): ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾﴾ [ق:٣١] إلى قوله -تعالى-: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق:٣٥].

وقال -عزَّ من قائلٍ- في سورة الذاريات: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ﴾ [الذاريات:١٥-١٦].

وقال في سورة القمر: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر:٥٤-٥٥]، وقال في سورة القلم: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾﴾ [القلم:٣٤].

وقال في المرسلات: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [المرسلات:٤١-٤٤].

وقال في سورة النبأ: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾ [النبأ:٣١-٣٦].

فأنتم ترون -يا عباد الله- أنَّ جنة الله ﷻ ما تُنال إلا بتقوى، فإياكم والعدول عن ذلك، فجُدُّوا وشَمِّروا، فإنها ما طُلبت الجنة إلا بالعمل، ولم تدرك بالتسويف والكسل.

وبالتقوى -يا عباد الله- تُقبل الأعمال عند الله -تعالى-، كما قال ﷻ في سورة المائدة: ﴿۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ ۘ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ ۚ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة:٢٧].

فالعمل إذا لم يكن خالصاً لله ولا صواباً على سُنَّة رسوله ﷺ؛ فهو عمل مردود، قال ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا؛ فَهُوَ رَدٌّ»(١).

وبالتقوى -يا عباد الله- تُنال ولاية الله ﷻ كما قال ﷻ في سورة يونس: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس:٦٢-٦٣].

وكما قال -جلَّ وعز- في سورة الجاثية: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الجاثية:١٩].

فيا خيبة من لم يكن من أولياء الله، وكان من أعدائه، ويا خيبة من كان من أولياء الشيطان، يا خيبة من أبعده الله ﷻ، يا خيبة من أمهله الله في العذر، ونَسَأَ في العمر، ولقي الله بالمعاصي، فلقيه وهو عليه غضبان، فاعتذر من ربه، فأجابه بقوله: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر:٣٧].

وبالتقوى -إخوة الإسلام- تُنال العاقبة الحميدة في الدنيا والآخرة، كما قال ﷻ في سورة الأعراف حاكياً عن كليمه موسى -عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام-: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأعراف:١٢٨].

وقال ﷻ مُسلِّياً عبده ورسوله محمداً ﷺ حينما اشتدَّ عليه أذى المشركين، وذلك حينما قصَّ عليه قصة نبيه نوح -عليه الصلاة والسلام- وما لاقاه من صنوف الأذى من قومه كما جاء ذلك في سورة هود، قال الله ﷻ لعبده وخليله محمد ﷺ: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [هود:٤٩].

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم (١٧١٨).

وقال ﷻ في القصص بعد ما قصَّ قصة هارون وأنه خَسَفَ به وبداره الأرض، قال ﷻ: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص:٨٣].

فيا خسران من أُبْعِدَ من هذه العاقبة الحميدة، فما أشدَّ خسارته، وما أشدَّ خزيه وندامته يوم القيامة.

وبالتقوى -إخوة الإسلام- تُستفتح أبواب البركة من الله ﷻ، كما قال ﷻ في سورة الأعراف: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف:٩٦].

وقال ﷻ في سورة الطلاق: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢-٣].

أمة الإسلام: إنكم ترون ما تعيشه أمة الإسلام في شتى أقطارها من فقر مُدقِع، ومن بلاء مُوجِع، ومن حاجةٍ إلى أعدائهم من الكفار على شتى أصنافهم، واختلاف دياناتهم، وتباعد أقطارهم وأوطانهم، يستدينونهم بالربا، ويربطون اقتصادهم باقتصادهم، هل هذا إلا من عاقبة المعاصي، وأشدها وأقبحها: الشرك بالله الذي يُرى عياناً في أكثر بلدان المسلمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله، دَعْ عنك بقية المعاصي من الفتن العظيمة؛ من بنوك ربوية، ومحلات فيها الخنا والخمور والدعارة في تلكم البلدان التي تزعم لنفسها ما تزعم، أليس الله ﷻ يغار؟ بلى، إنه ليغار -جلَّ وعز-، وإنَّ غيرته ﷻ أن تنتهك محارمه، فإنه ما استُجلِب ما عنده ﷻ إلا بطاعته، وما أُزيل إلا بمعصيته.

وبالتقوى -يا عباد الله- ينضج عقل الإنسان، وتتكون عنده بصيرة نيرة تضيء له الطريق المظلم، يُفَرِّق بها بين الحق والباطل، بل وتُكفِّر عنه سيئاته، وتغفر له ذنوبه، كما قال ﷻ في سورة

الأنفال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩﴾ [الأنفال:٢٩].

وكما قال في سورة الحديد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٨﴾ [الحديد:٢٨].

فالله الله -يا عباد الله- عليكم بملازمة التقوى؛ فإنها الطريق الوحيد الذي ينجو به الإنسان من الشدائد، وتَنْدَكُّ أمامه العقبات، وتزول الشبهات، ويُجعل له بها من كل هَمٍّ فرجاً، ومن كل ضيقٍ مخرجاً، ويُيسر له الرزق من حيث لا يحتسب، كما قال ﷻ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق:٢-٣]، وقال ﷻ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ٤﴾ [الطلاق:٤]، جعلني الله وإياكم من عباده المتقين العاملين بأمره، المنتهين عن نهيه، الواقفين عند حدوده، المتبعين لرسوله ﷺ، بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية]: الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وأشهد أن لا إله إلا الله، إله الأولين والآخرين، وقيوم السماوات والأرضين، ذو الربوبية والألوهية على خلقه أجمعين، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله -صَّلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين-.

أما بعد؛ فيا عباد الله، نحن لا محالة مسافرون عن هذه الدار، وكل مسافر جرت العادة أنه يأخذ أُهبته، فيسعى في تأمين راحلته، ويُعِدُّ زاده، واعلموا -رحمكم الله- أنَّ سفرنا من هذه الدنيا دار الممر إلى دار الآخرة دار المقر، ولتعلموا أيضاً -رحمني الله وإياكم- أنَّ الراحلة التي تُمتطى

هي الليالي والأيام، فكل يوم يمضي منك فإنما تقترب به إلى الآخرة مرحلة، وتبتعد به عن الدنيا أخرى، واعلموا -رحمكم الله- أنَّ الزاد إنما هو طاعة الله ﷻ.

إِنَّ لله عِبَادًا فُطَنَا ... طَلَّقُوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الفِتَنَا
نَظَرُوا فِيْهَا فَلَمَّا عَلِمُوا ... أَنَّهَا لَيْسَتْ لِحَيٍّ سَكَنَا
جَعَلُوهَا لُجَّةً وَاتَّخَذُوا ... صَالِحَ الأَعْمَالِ فِيْهَا سُفُنَا(١)
إِنَّا لَنَفْرَحُ بِالأَيَّامِ نَقْطَعُهَا ... وَكُلُّ يَوْمٍ مَضَى يُدْنِي مِنَ الأَجَلِ(٢)

فالعاقل الحصيف هو من يسعى في تأمين راحلته، وإعداد زاده، فاعلموا -رحمني الله وإياكم- أنَّ الزاد الذي يُحتاج إليه إنما هو زاد واحد؛ هو تقوى ﷻ، فتقوى الله ما جاورت قلب امرئ إلا وصل إلى رحمة الله ﷻ، وأنعم به من زاد، يكفل لصاحبه السعادة الأبدية، والطمأنينة الكاملة، والعيش الرغيد في جنة ﴿عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران:١٣٣].

لذا وغيره يعرف الإنسان أنه لا غنى له عن التقوى، فبها يتخلَّص من مآزق كثيرة، ومن بلايا عظيمة في الدنيا والآخرة، ولا سيما عند الورود على النار -عافانا الله وإياكم منها- التي لا ينجو منها يومئذ إلا المتقون، قال ﷻ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم:٧٢].

فيا عباد الله؛ اللهَ اللهَ بادروا بالعمل ما دمتم في فسحة من الأجل، واعلموا أنَّ الموت قد تخطاكم إلى غيركم، وسوف يتخطَّى غيركم إليكم، فأين من كان بالأمس معنا! نُقِلَ إلى الله، فأُسْكِنَ في قبرٍ ارتهن فيه بعمله، فإن كان صالحاً نام نومة هنيئة ينتظر قرب الساعة، بل إنه ليقول: «**رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ**»(٣)، وإن كان غير ذلك؛ فإنه يتمنى البعد والفوت عنها، وليس له مفر منها.

---

(١) هذه الأبيات تنسب للإمام الشافعي، انظر: «ديوان الإمام الشافعي» (١٤٣)، وتنسب كذلك لمحمد بن الوليد الطرطوشي، انظر: «الصلة» لابن بشكوال (٢/ ٢١١)، «وفيات الأعيان» (٤/ ٢٦٢)، وقد ذكرها الحافظ النووي في مقدمة كتابه «رياض الصالحين» ولم يعزها لأحد.

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» (٦٥/ ٨٩)

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم (١٨٥٣٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (١٦٧٦).

فاللهم إنَّا نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلا وباسمك الأعظم الذي إذا دعيت به أجبت، وإذا سئلت به أعطيت؛ أن تجعلنا من عبادك المتقين العازفين عن هذه الدار، الآخذين منها بُلْغتهم لدار القرار.

اللهم إنا نسألك يا حي يا قيوم أن تَمُنَّ علينا بمَنِّك وجودك وإحسانك يا رب العالمين.

هذا وصلُّوا وسلِّموا عباد الله على من أمركم الله بالصلاة والسلام عليه، فقال -جلَّ من قائلٍ عليماً-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب:٥٦].

اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وارضَ اللهم عن الخلفاء الراشدين الأئمة المهديين الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون؛ أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعن جميع أصحاب نبيك أجمعين، وعن زوجاته أمهات المؤمنين وعن آل بيته الطيبين الطاهرين، وعن التابعين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وعنا معهم بمَنِّك وجودك ولطفك وكرمك وإحسانك يا أكرم الأكرمين.

اللهم أعزَّ الإسلام والمسلمين، اللهم أعزَّ الإسلام والمسلمين، اللهم أعزَّ الإسلام والمسلمين، واحمِ حوزة الدين، ودمِّر أعداء الإسلام يا رب العالمين.

اللهم عليك باليهود، اللهم عليك بهم فإنهم لا يعجزونك، اللهم شتِّت شملهم، وفرِّق جمعهم، وخالف بين قلوبهم وآرائهم، واجعل الدائرة عليهم، وأنزل عليهم بأسك ورجزك وغضبك إله الحق، إنك على كل شيء قدير.

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، وأصلح ذات بينهم، وألِّف بين قلوبهم، اللهم وفِّق ولاة أمور المسلمين للعمل بكتابك، وتحكيم شرعك، واتِّباع سنة نبيك محمد ﷺ، اللهم واجعلهم رحمة على شعوبهم وأوطانهم ورعاياهم يا حي يا قيوم.

اللهم وفِّق إمامنا بتوفيقك، وأيِّده بتأييدك، اللهم اجعل عمله في رضاك، اللهم اجعل عمله في رضاك، ووفقه لهداك، إنك على كل شيء قدير، ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة:٢٠١].

عباد الله: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل:٩٠]، فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على آلائه ونعمه يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [العنكبوت:٤٥]».

إِعْدَادُ/

أَبِي قُصَيٍّ المَدَنِيِّ

-عَفَا اللهُ عَنْهُ وعَنْ والِدَيْهِ ومَشَايِخِه وَالْمُسْلِمِيْنَ أَجْمَعِيْنَ-

فِي الثَّالِثِ مِنْ شَهْرِ ذِيْ الحِجَّةِ عَامَ سَبْعَةٍ وأَرْبَعِينَ وأَرْبَعِمِئةٍ وأَلْفٍ مِنَ الهِجْرَةِ